جواهر النظام في معرفة الانغام

توطئة

من جملة المخطوطات التي توفقنا الى الحصول عليها في رحلتنا الى الهند سنة ١٨٩٥ كتاب صغير طولهُ ١٧ سنتمترًا في عرض ١٣ س لا تزيد اوراقهُ على عشر صفائح غلافهُ مقوّى بنفسجي اللون. يتضمّن نصفهُ الاوّل ارجوزةً في الانغام عنوانها « جواهر النظام في معرفة الانغام » في ستّة بيت تاريخ كتابتها سنة ٨٧٧ للهجرة (١٤٧٢ م) وهي مكتوبة بخطّ عاديّ حسن وبحبر اسود في المتن واحمر في العناوين والنقوش . اما مؤلف هذه الارجوزة فلا نعرف من اسمهِ واحوالهِ سوى ما ورد عنهما في صدر الكتاب وختام الارجوزة فهو « الشيخ شمس الدين ابو عبد الله محمّد بن علي بن ابي الحسن علي الخطيب الاربليّ » وقد بحثنا عنهُ وعن ارجوزتهِ كثيرًا في ما لدينا من التآليف فلم نجد لهُ ذكرًا فيها ولا في قوائم مخطوطات اوربّا ومصر والاستانة. ويظهر من اسم الناظم انّهُ كان من اربل من جهات العراق . وقد افادنا في خاتمة ارجوزتهِ انّهُ صنّفها « باقلّ من يوم » وذلك في « رنداد » وهي بلدة صغيرة من العجم لا ذكر لها في كتب وصف البلدان . اما سنة التأليف فقد صرّح بها المؤلف وهي سنة ٧٢٩ (١٣٢٩ م)

وكانت الموسيقى في ذاك الوقت قد اصبحت عجميّةَ الاصول وهي التي يجري عليها ارباب الغناء زماننا مع بعض اختلافات عرضيّة . ومن اراد الوقوف على اصولها وفروعها وتفاصيلها فليراجعهُ « الرسالة الشهابيّة في الصناعة الموسيقيّة » للدكتور ميخائيل مشاقة التي نشرها حضرة الاب لويس رتّو قال في المشرق وطبعها على حدة مع عدّة ملحوظات وتفاسير ثمّ كرّر طبعها في هذا العام ونقلها الى الافرنسيّة وطبعها في المجلد السادس من منشورات مكتبتنا الشرقيّة (راجع الصفحة ٧١١) مع اشكال متعدّدة وحواشٍ غايتها خصوصًا افادة الاوربيين

(١٢) جواهر النظام في معرفة الانغام

تأليف الشيخ الامام الاستاذ شمس الدين ابو عبد الله محمد ابن المرحوم الشيخ الصالح الورع عليّ ابن ابي الحسن علي الخطيب الإربليّ رحمهُ الله وآلهُ ورحم اموات المسلمين

(١) بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله على إنعامهِ حمدًا يكافي الفَضْلَ في اقسامهِ
ثمَّ الصلاةُ والسلام التالي على النبيِّ احمدٍ والآلِ
والصَّحْبِ والتابع بالإحسان الى انقضاء عُمُرِ الزمانِ
وبعدُ يا اخي هداك اللهُ الى طريقِ رَشَدٍ يرضاهُ
فهاكَ ما نجمعُها مختصرا من رَجَزٍ على المهمِّ اقتصرا
فانَّ جُلَّ الوقت مصروفٌ الى ما ألهم الله تعالى وعلا
مما يراهُ ذو النُّهى والعقلِ فرضاً يعينهُ (١ وقوفُ النقلِ
ما لا يليقُ باللبيب يَعْرِضُ عنهُ الى شيء سواهُ يُعْرَضُ
لكنَّ حقَّ القصدِ والإخاء على فروضِ اوَّل السخاء
أوجبَ ان ابني بهذا النظمِ ما رُمْتُهُ من ضبطِ هذا العلمِ
اجابةً لِما التمستَ فأتبعْ هداهُ فهو غنيةٌ للمستمعْ

معرفة اصول الانغام

واعلم بانَّ الزَّستَ اصلُ الكلِّ عنهُ تفرَّعتْ بحكم العقلِ
وانَّهُ اوَّلُ ما تفرَّعا عنهُ ثلاثةٌ فصارت اربعا
(٢ الزَّستُ والعراقُ ثانٍ تابعُ وزركِندُ (٢ واصبهانُ الرابعُ

المناسبة بين الاصول والاركان والاخلاط

ونزولهنَّ على الاركانِ (٣ وعدَّةُ الاخلاطِ في الانسانِ
فشبَّهوا الاوَّل في الآثارِ بالمرَّةِ الصفرا وركنِ النارِ
وثانياً بالدمِ والهواء وثالثاً ببلغمٍ والماء

١) في الاصل: سبه (كذا) ٢) ويروى: زرفكند ٣) هو مختلّ الوزن

واختم بالسودا وركن الارض عن ذي الطباع فعلها بالفرض
فأثر الرست اذا في النفس كطبعه حرارة مع يبس
ومن هنا اثر بعضها فقط فانقبض البعض به او انبسط

بيان اجر الانغام والاصول الاربعة

ثم لمن اجر فالاول ذو خمسة معروفة تستعمل
وهي من اليكا الى ان تختم بالنجكا والاصبهان قد علم
كردانيا نهفت ثم الباقي كل له بحران باتفاق
ولم يسميا وبعض حققا للاصبهان آخرين مطلقا

ذكر الاجر الثمانية المفرعة عن الاصول الاربعة

ثم لكل نغمة فرعان ففرعت عن اربع ثماني
(2) عن اول فالزنكلا عشاق للبوسليك والمأى العراق
ثم لثالث بزرك راهوي عن اربع نوى حسيني قد روي
فصارت الانغام اثني عشرا واضطربوا في الوضع والله (1 أدرى

ذكر كيفية ترتيب الانغام الاثني عشر

إن يوضع الاصل وفرعاه معه او الاصول تثت المفرعه
مثنى كذا او الاصول الاربعه وزنكلا وبوسليك تبعه
بزرك مع نوى وعشاق مأى والراهوي او الحسيني قد نأى
بمثل ذا تحفظ فيها النسب في حكم طبعها واذ ترتب
على البروج ونجومها فضع رابعهن ثانيا ثم الشبع
ثم ببدء كل فرعين على ترتيبها الآن وبالباقي ولا
حتى يكون قوسها والمستري (؟) لنغمة العشاق عند النظر

ذكر الاوآزات (2 الستة

وفرعوا من كل شدين نغم سموه أوآزا فبعض قد رسم
للرست والعراق نيروز ولم ينقل له خلف بذا المأى حكم

1) كذا بتسكين آخر الاسم الكريم 2) الاوآزه لفظة فارسية بمعنى اللحن

والآخران لهما الشهناز للبوسليك والنوى الحجاز
وخذ لفرع زركند سلمكا للزركشي مأى وزنكلا أتركا
(٢ و) والحسيني وعشاق نقل كوشت والبعض مخالف فقل
عنه بزركند اصبهاني كوشت والشهناز في البيان
لماهة وبوسليك جعلا حجاز للعشاق معه زنكلا
وسلمك على الحسيني والنوى والذوق يدري من عن الحق التوى

ذكر الشواذ الثلاثة المفرّعة عن الاوزان الستّة

وفرّعوا عن هذه الاوزان ما سُمّي الشاذ ثلاث شاذات
عن كل اوزانٍ فرعٌ ثالثٌ منهنّ عزّال وذاك حادثٌ
عن نغمتي شهناز والنيروز لسلمك والزركشي العزيز
فرعٌ زوالي واما الكبري فعن حجاز وكوشت فانظر (١

ترتيب الانغام الاثني عشر كما ذكره الاستاذ صفيّ الدين عبد المؤمن

وبعضُ من دقائق الفنّ حوى وقّبها العشاقُ بعده النوى
والبوسليك الرستُ والعراقُ والاصبهانُ وله اللحاقُ
بُزُركندُ وبُزُرْكُ وزنكلا وراشوي والحسينيُّ تلا
ونجعلُ اختتامها الحجازي وننقل المأى الى الاوازي
وبدل الكردانيا بالزركش ولم يُبَنْ كيف عن الاصل انثنى

(٢ و) ذكر الانغام الزوائد

وما الى تمّا عدا المذكور فخارجٌ عن عدّها المشهور
كستار رَمَلٍ والنَّبَريّ كذا الخوارزميّ والمحيّر
وانّ للعقل مجالَ التكثير وانْ يركّبها بكلّ تقدير
وكلّما انتهى الى بعض العدَدْ (٢ زاد عليه غيره ولا يُحَدْ
لكنّها لم تُسَمَ لا ولا نُقِلْ وما على عدّةِ انغامٍ عُمِلْ
يعزى الى الأعرفِ منها الاشهرِ وان سَمَيت بعضها لم يُنكَرِ

---

١) كذا في الاصل والشطر غير موزون ٢) في الاصل : «الى عدده» وهو مكسور

فانهُ لا حجرَ في التركيبِ والفخر في ذي صنعةٍ وطيبِ
وربَّما يكون فرعٌ سُمعا من نغَم الاصل الذَّ طَبَعا

وصية الاستاذ المصنّف

فتلكَ ذا عنايةٍ في العملِ بلذّةِ السامعِ بالمعجّلِ
وحُسنِ الامتزاجِ في الشدودِ واحذر من التنفيرِ والتبعيدِ
وان رأيت طرباً فاعمد الى زيادة الوجد عليهِ وانقلا
الى أوازه أستلذّ ثمَّا الى سوادهِ وكلًّا مما
يلذُّ اولًا الى الحدارِ وغيرِ ذا موجبُ الانحدارِ
(٩٤) وربَّما مات بهِ ذو وَجدٍ ان كان الانتقالُ نحو الضدّ

بيان تأثير الانغام في الامزجة من الاخلاق

فانَّ عشَّاقاً وبرسليكا ثمَّ نوى تفيدنا تليكا
الى شجاعةٍ وبسطِ قوّه وتبعثُ الشخصَ على الفتوّه
يليقُ بالتركِ وبالزنوجِ وساكني الجبال والعلوجِ
ثمَّ لنيروزٍ واصبهانِ والرستِ والعراقِ في الانسانِ
يشرٌ ولذّةٌ وبسطٌ وانبذانْ ما قد بقي منها بقبضٍ وحزنْ
فكان في النَّقل الى الحسيني من العراقِ نفرةُ الضدَّينِ

بيان الضروب السبعة ووجوب مراعاتها

ثمَّ اتقنِ الضربَ وخَفِّفهُ وهَلْ يصحُّ دون ضبطك الضربَ عملْ
وجملةُ الادوارِ سبعةٌ وقدْ خُصَّ ثقيلُهُ ثلاثةٌ يُعَدْ
باوّل الثقيل ثمَّ ثانيهْ ثم خفيفهِ فخذ معانيهْ
والرَّملُ أثنان فمُطلَق وما قُيِّد بالخفيفِ منهُ فاعلما
وهزجٌ والفاختيُّ السابعُ وقلَّ ما يَبني عليهِ الصانعُ

وصيّة للمُطرب

(٩٧) وينبغي تلطُّف القوّالِ بعلمهِ امزجةَ الرجالِ
وحالةَ القولُ وان يستجمعا لكلِّ موضع لطيفٍ قطعا

من اشرف الاشعار ذا صنائع فاعلهُ في الطفِ الطبائع
يوردُ كلًا في المكان اللائقِ في نغمٍ مناسبٍ موافقِ
منتخبًا محاسن النظامِ يوردُهُ في أنسب الانغامِ
يختار للنسيب والاشواقِ واللطف مثل نغمةِ العراقِ
وللشجاعة وبسط النفسِ كنغمة العشاقِ دون لَبَسِ
للوجد والرقّة والحزن اي كزروكندَ والحسيني وماي
فانَّ هذا باللبيب انسبُ وهو لدى كلّ الطباع اعجبُ
وتكمل اللذّة فيهِ واذا خالفهُ فقد يؤثر الأذى
او ينقص اللذّة ثم يتصدْ لكلّ طبعٍ وفقهُ ويعتمدْ
فعل المداوين فللبوسةْ بضدّها وطوبةٌ محسوسةْ
كمكسهِ وباردًا يسخنِ كتدهِ فعل الصحيح الذهنِ
وربّما وافق في العلاجِ موافق السامع في المزاجِ
فلا يلُمهم بتطويلٍ ولا يقطعُ دون قصدهم واولا
(ذ) يرقب حال الكبراء ثمّ مَنْ حرّكهُ الوجدُ مع السّنت الحسنْ
والاصل طيب الصوت والديانةْ فيهِ وصدق النزل والصيانةْ
فان اتت مع جودة الاعمالِ فقد أتى بغايةِ الكمالِ

خاتمة الرسالة

صاحبُها محمّدٌ نجلُ علي ناظمها ابن الخطيب الاربلي
يقول هذي غنيةٌ ان عقلْ وقد نظمتُها بيوم او أقلْ
وذاك في رندادَ للهجرةِ (كذا) تسعٌ وعشرون وسبع مئةِ
وعدّة المجموع في نظامي بيتٌ ومائة مع الختامِ
وكملتْ ارجوزةُ الانغام والحمد لله على الانعامِ
ثمّ على خير الورى سلامي ما سرحتْ سائمةُ الأنعامِ

تمّت الارجوزة بحمد الله وعونهِ وحسن توفيقهِ . وصلّى على سيدنا محمّد خير خلقهِ وعلى آلهِ وصحبهِ وسلّم وحسبنا الله تعالى ونعم الوكيل . وكان الفراغ من

القيس النصارى الذين ذكرناهم قبلاً. وهكذا نرى ايضاً لنصارى اليونان والرومان والسريان فانهم بعد تنصّرهم تسمّوا باسماء كان اصلها وثنياً مشيراً الى معبوداتهم كركوريوس وذيونوسيوس وباخوس وسرطيوس لكنّ تلك الاسماء كانت فقدت بالاستعمال معانيها الوثنية

فاذا ادركت ما سبق فنقول انّ الاعلام نصرانيّة بين العرب على خمسة اشكال فمنها ما استعاروهُ من الاسفار المقدّسة ومنها ما اشاروا فيهِ الى الاسم الكريم ومنها ما خُصّ بالنصارى دون غيرهم ومنها ما كان تعريباً لاسماء نصرانيّة ومنها اخيراً ما دلّ على بعض الصفات الرافقة لاحوال النصارى

١ الاعلام النصرانية المستعارة من الاسفار المقدّسة

هذه الاعلام مشتركة في بلاد العرب بين النصارى واليهود ونحن نضرب الصفح عن اسماء اليهود لخروج ذلك عن غرضنا فنذكر اسماء سواهم ممّن ينتمون غالباً الى القبائل التي اثبتنا نصرانيّتها وذلك على ترتيب حروف المعجم

(آدم) تسمّى بعضهم في الجاهليّة باسم ابي البشر. منهم « آدم بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطّلب » قال ابن دريد في الاشتقاق (ص٤٤): « قُتل في الجاهليّة وهو الذي وضع النبيّ حلمهم دمهُ يوم فتح مكة ». ومنهم آدم مولى بَلْتَير ذكرهُ ابو تمّام في الحماسة ولدهُ آدم بن شدّخ المنبري الذي روى لهُ ياقوت شعراً في معجم البلدان (٣ : ٣٧٣)

(ابراهيم) قال التبريزي في شرح الحماسة (ed.Freytag ١٧٥ : ١): قال ابو العلاء : ابراهيم اسم قديم ليس بعربيّ وقد تكلّمت بهِ العرب على وجوه فقالوا ابراهيم وهو المشهور وابراهام وقد قُرئ بهِ وإبراهم على حذف الياء وإبْرَهَم » وذكر هناك اسم شاعر قديم دعاهُ « ابراهيم بن كُنَيف النَّبهانيّ ». وممّن تسمّى بابراهيم ابراهيم بن ايوب بن محروف عمّ الشاعر النصرانيّ عديّ بن زيد (التاج ١ : ١٥١). ومنهم قوم من الصحابة ذكرهم ابن الاثير في اسد الغابة في معرفة الصحابة (ج ١ ٤٠١–٤٤) عُرفوا باسم ابراهيم تسمّوا بهِ في الجاهليّة كابراهيم الاشهليّ وابراهيم بن الحارث بن خالد التيميّ القرشيّ المهاجر وكابي رافع ابراهيم القبطيّ قال